لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

٥٤٥

معانى الكلمات :

يوادون : يحبون ويتبعون .

وأيدهم بروح منه : وقواهم بنصره ، وبنور يقذفه فى قلوبهم .

سبح لله : نزّهه ومجده تعالى .

فأتاهم الله : فأتاهم أمره وعقابه .

لم يحتسبوا : لم يظنوا ولم يخطر لهم ببال .

وقذف : وألقى وأنزل إنزالا شديدا .

الجلاء:الخروج من الوطن بالأهل والولد.

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم حرمة موالاة الكافر بالنصرة والمحبة ولو كان أقرب قريب .

٢ ـ أن نستشعر جلال الله وعظمته وعزته وحكمته فى تسبيحه من كل المخلوقات .

٣ ـ أن نتعرف على علة هزيمة بنى النضير وخروجهم من ديارهم .

المحتوى التربوى :

تجىء القاعدة الثانية التى يقف عليها المؤمنون ، أو الميزان الدقيق للإيمان فى النفوس ؛ إنها المفاصلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان ، والانحياز النهائى للصف المتميز ، والتجرد من كل عائق وكل جاذب ، والارتباط فى العروة الواحدة بالحبل الواحد ، فما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه، وما يجمع إنسان فى قلب واحد وُدَّين: ودّاً لله ورسوله وودّا لأعداء الله ورسوله؛ فأما إيمان أو لا إيمان ، أما هما معا فلا يجتمعان .

ومن الممتنع أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين ، مهما كانت قرابتهم ، حتى ولو كانت القرابة قرابة أبوة وبنوة وأخوة وعشيرة ، فلا ينبغى أن يكون ذلك ، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال ، ومن اتصف بأنه لا يوادّ من حادّ الله ورسوله ولو كان أباه أو ابنه أو أخاه فهذا ممن كتب

الله فى قلبه الإيمان ، والسعادة فى قلبه ، وزين الإيمان فى بصيرته ، ولما سخطوا على القرائب والعشائر فى الله ، عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم ، وهم جند الله وأنصار الحق الذى أنزل ودعاة الخلق إليه ، فهم عباد الله وأهل كرامته ، والباقون فى النعيم المقيم ، الفائزون بكل محبوب ، الآمنون من كل مرهوب ، الفائزون فى الدنيا والآخرة .

قال صاحب الظلال : « وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين : حزب الله وحزب الشيطان ، وإلى رايتين اثنتين : راية الحق وراية الباطل ، فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق ، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل ... وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان .

لا نسب ولا صهر ، ولا أهل ولا قرابة ، ولا وطن ولا جنس ، ولا عصبية ولا قومية .. إنما هى العقيدة والعقيدة وحدها ، فمن انحاز إلى حزب الله ووقف تحت راية الحق ، فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة فى الله ، تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم ، وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم ولكنهم يلتقون فى الرابطة التى تؤلف حزب الله ، فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة ، ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل ، فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة ؛ لا من أرض ، ولا من جنس ولا من وطن ، ولا من لون ، ولا من عشيرة ، ولا من نسب ، ولا من صهر .. لقد أنبتت الوشيجة الأولى التى تقوم عليها هذه الوشائج ، فأنبتت هذه الوشائج جميعا .

ومع إيحاء هذه الآية بأنه كان هناك فى الجماعة المسلمة من تشده أواصر الدم والقرابة وجواذب المصلحة والصداقة ، مما تعالجه هذه الآية فى النفوس ، وهى تضع ميزان الإيمان بهذا الحسم الجازم والمفاصلة القاطعة .

سورة الحشر

يقول صاحب الأساس : « من مقدمة السورة ندرك مضمونها ، وأن له صلة بتنزيه الله وخضوع الأشياء كلها له، واتصافه بالعزة والحكمة ،ولذلك سنرى فى السورة مظاهر من عزته ، وحكمته .. وذكر اسم من أسماء الله عز وجل فى ابتداء سورة يشعرنا أن السورة مجلى لظهور هذا الاسم ، وها هنا فى سورة الحشر نرى فعل الله بالكافرين والمنافقين وذلك من مظاهر عزته وتدبير الله للمؤمنين وذلك من مظاهر حكمته » .

وتبدأ السورة وتختم بتسبيح الله الذى له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، بهذه الحقيقة التى وقعت وكانت فى الوجود ، حقيقة تسبيح كل شىء فى السموات ، وكل شىء فى

الأرض لله ، واتجاهها إليه بالتنزيه والتمجيد، تفتتح السورة التى تقص قصة إخراج الله للذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم وإعطائها للمؤمنين به المسبحين بحمده ، الممجدين لأسمائه الحسنى ،وهو القوى القادر على نصر أوليائه وسحق أعدائه الحكيم فى تدبيره وتقديره .

ثم يقص نبأ الحادث الذى نزلت فيه السورة ، ومن السياق نعلم أن الله هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، والله هو فاعل كل شىء ، وصيغة التعبير توقع فى الحس أن الله تولى هذا الإخراج من غير ستار لقدرته من فعل البشر وساق المخرجين للأرض التى منها يحشرون ، فلم تعد لهم عودة إلى الأرض التى أخرجوا منها ، ويؤكد فعل الله المباشر فى إخراجهم وسوقهم ، بأنكم لم تتوقعوا خروجهم ، ولا هم كانوا يسلمون فى تصور وقوعه ، فقد كانوا من القوة والمنعة فى حصونهم بحيث لا تتوقعون أنتم أن تخرجوهم منها كما أخرجوا ، وبحيث غرتهم هذه المنعة حتى نسوا قوة الله التى لا تردها الحصون ، فأتاهم من داخل أنفسهم لا من داخل حصونهم ، أتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب ، فخربوا حصونهم بأيديهم ، وأراهم أنهم لا يمكلون ذواتهم ، ولا يحكمون قلوبهم ، ولا يمتنعون على الله بإرادتهم وتصميمهم ، فضلا على أن يمتنعوا عليه ببنيانهم وحصونهم ، وقد كانوا يحسبون حساب كل شىء إلا أن يأتيهم الهجوم من داخل كيانهم ، فهم لم يحتسبوا هذه الجهة التى أتاهم الله منها .

وهكذا حين يشاء الله أمراً يأت له من حيث يعلم وحيث يقدر وهو يعلم كل شىء وهو على كل شىء قدير ، فلا حاجة إذن إلى سبب ولا إلى وسيلة ، مما يعرفه الناس ويقدرونه ، فالسبب حاضر دائما ، والوسيلة مهيأة ، والسبب والنتيجة من صنعه ، ولن يمتنع عليه سبب ولا نتيجة ، وتتم حكاية ما وقع للذين كفروا من أهل الكتاب والله يأتيهم من وراء الحصون فتسقط بفعلهم هم ، ثم يزيدون فيخربونها بأيديهم وأيدى المؤمنين .

ويجىء التعقيب بأخذ العبرة والاتعاظ ، وهو أمر مقرر أن ينالهم النكال من الله ، ولولا أن اختار الله جلاءهم لعذبهم عذابا آخر غير عذاب النار الذى ينتظرهم هناك ، فقد استحقوا عذاب الله فى صورة من صوره على كل حال .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ المودة لمن حارب الله ورسوله لا تجتمع مع الإيمان .

٢ ـ كل شىء فى الوجود يسبح بحمد الله تعالى ، وإن كنا لا نفهم تسبيحه ، وعلى المسلم أن يتناغم مع بقية المخلوقات .

٣ ـ سنة الله تعالى فى كل من يحاده ويحاد رسوله أن ينزل به أشد أنواع العقوبات .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً
عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾
٥٤٦

معانى الكلمات :

شاقوا : عادوا وعصوا وحادّوا .

لينة : نخلة ، أو نخلة كريمة .

على أصولها : على سوقها .

أفاء : رد وأعاد .

فما أوجفتم عليه : فما أجريتم على تحصيله .

دولاً : ملكا متداولاً ت

تبؤوا : توطنوا

خصاصة : فقر واحتياج .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعلم بعض أحكام الفىء .

٢ ـ أن نتعرف على بعض سنن الله فى خلقه .

٣ ـ أن نعلم الخصائص العليا لأهل الإيمان والتقوى ، مهاجرين ومهاجر إليهم .

المحتوى التربوى :

المشاقة أن يأخذوا لهم شقا غير شق الله وجانبا غير جانبه ، وقد جعل الله جانبه هو جانب رسوله حين وصف علة استحقاقهم للعذاب فى صدر الآية ، فاكتفى فى عَجُزها بمشاقة الله وحدها ، فهى تشمل مشاقة الرسول وتتضمنها ، ثم ليقف المشاقون فى ناحية أمام الله ـ سبحانه ـ وهو موقف فيه تبجح قبيح ، حين يقف المخاليق فى وجه الخالق يشاقونه ، وموقف كذلك رعيب وهذه المخاليق الضئيلة الهزيلة تتعرض لغضب الله وعقابه ، وهو شديد العقاب ، وهكذا تستقر فى القلوب حقيقة مصائر المشاقين لله فى كل أرض ، وفى كل وقت ؛ من خلال مصير الذين كفروا من أهل الكتاب ، وما استحقوا به هذا العقاب .

ثم يطمئن المؤمنين على صواب ما أوقعوه بهؤلاء الذين كفروا وشاقوا الله ورسوله من تقطيع نخيلهم وتحريقه ، أو تركه كذلك قائما ، وبيان حكم الله فيه ، وقد دخل نفوس بعض المسلمين

شيء من هذا، فجاءهم هذا البيان يربط الفعل والترك بإذن الله، فهو الذى تولى بيده هذه الموقعة، وأراد فيها ما أراد، وأنفذ فيها ما قدره، وكان كل ما وقع من هذا بإذنه أراد به أن يخزى الفاسقين، وقطع النخيل يخزيهم بالحسرة على قطعه ، وتركه يخزيهم بالحسرة على فوته، وإرادة الله وراء هذا وذاك على السواء .

ويجىء السياق فيقرر حكم الفىء الذى أفاءه الله على رسوله فى هذه الوقعة وفيما يماثلها ، مما لم يتكلف فيه المسلمون غزواً ولا قتالا ؛ أى الوقائع التى تولتها يد الله جهرة ومباشرة وبدون ستار من الخلق كهذه الوقعة ، ويبين السياق حكم الله فى هذا الفىء وأمثاله مع وصف أحوال الجماعة المسلمة فى حينها ، كما تقرر طبيعة الأمة على مدار الزمان ، لا ينفصل فيها جيل عن جيل ، ولا قوم عن قوم ، ولا نفس عن نفس .

ويذكر السياق المسلمين أن هذا الفىء الذى خلفه وراءهم بنو النضير لم يركضوا هم عليه خيلا ، ولم يسرعوا إليه ركبًا فحكمه ليس حكم الغنيمة التى أعطاهم أربعة أخماسها واستبقى خمساً فقط لله ورسوله ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، والرسول ﷺ هو الذى يتصرف فيه كله فى هذه الوجوه ، وذوو القربى المذكورون هم قرابة رسول الله ﷺ إن كانت الصدقات لا تحل لهم ، فليس لهم فى الزكاة نصيب ، وإن كان النبى لا يورث فليس لذوى قرابته من ماله شىء وفيهم الفقراء الذين لا مورد لهم ، فجعل لهم من خمس الغنائم نصيبا ، كما جعل لهم من هذا الفىء وأمثاله نصيبا ، فأما بقية الطوائف والمصارف فأمرها معروف ، والرسول ﷺ هو المتصرف فيها .

هذا هو حكم الفىء وتبينه الآيات ، ولكنها لا تقتصر على الحكم وعلته القريبة ، إنما تفتح القلوب على حقيقة أخرى كبيرة ، والله يسلط رسله على من يشاء ، فهو قدر الله ، وهم طرف من هذا القدر يسلطه على من يشاء،وبهذا يتصل شأن الرسل بقدر الله المباشر،فهم يتحركون بهواهم، وما يأخذون ، أو يدعون لحسابهم ، وما يغزون ، أو يقعدون ، وما يخاصمون أو يصالحون إلا لتحقيق جانب من قدر الله فى الأرض منوط بهم وبتصرفاتهم وتحركاتهم فى هذه الأرض ، والله هو الفاعل من وراء ذلك كله ، وهو على كل شىء قدير .

وتضع القسمة قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادى والاجتماعى فى المجتمع الإسلامى، كما تضع قاعدة كبرى فى التشريع الدستورى للمجتمع الإسلامى.

والقاعدة الأولى: قاعدة التنظيم الاقتصادى، قاعدة ألا يكون المال دولة بين الأغنياء ، ممنوعا من التداول بين الفقراء ، فكل وضع ينتهى إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الاسلامية، كما يخالف هدفا من أهداف التنظيم الاجتماعى كله، وجميع الارتباطات والمعاملات فى المجتمع الإسلامى يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع أو تبقى عليه إن وجد .

وأما القاعدة الثانية : قاعدة تلقى الشريعة من مصدر واحد ، وهى كذلك تمثل النظرية الدستورية الإسلامية ، فسلطان القانون فى الإسلام مستمد من أن هذا التشريع جاء به الرسول ﷺ قرآنا ، أو سنة ، والأمة كلها والإمام معها لا تملك أن تخالف عما جاء به الرسول ، فإذا شرعت ما يخالفه لم يكن لتشريعها هذا سلطان ، وحين لا توجد نصوص فيما جاء به الرسول بخصوص أمر يعرض للأمة فسبيلها أن تشرع له بما لا يخالف أصلا من أصول ما جاء به الرسول ، وهذا لا ينقض تلك النظرية إنما هو فرع عنها ، وتربط الآية هاتين القاعدتين فى قلوب المؤمنين بمصدرهما الأول وهو الله ، فتدعوهم إلى التقوى وتخوفهم عقاب الله ، فهو شديد العقاب.

ويبين السياق من أصناف من تقدم من أصحاب الفىء من أحق بالعناية والرعاية ، وتأتى صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين ..أخرجوا إخراجا من ديارهم وأموالهم، أكرههم على الخروج الأذى ، والاضطهاد ، والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم فى مكة ، لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله ، وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم واعتمادهم على الله فى فضله ورضوانه ، لا ملجأ لهم سواه ، ولا جناب لهم إلا حماه ، وهم مع أنهم مطاردون قليلون ، ينصرون الله ورسوله بقلوبهم وسيوفهم فى أحرج الساعات وأضيق الأوقات ، وأولئك هم الصادقون الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم وصدقوها بعملهم، وكانوا صادقين مع الله فى أنهم اختاروه، وصادقين مع رسوله فى أنهم اتبعوه، وصادقين مع الحق فى أنهم كانوا صورة تدب على الأرض ويراها الناس .

وتأتى صورة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار...تبؤوا دار الهجرة قبل المهاجرين، كما تبؤوا فيها الإيمان ، وكأنه منزل لهم ودار ، وقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذى تعيش فيه قلوبهم ، وتسكن إليه أرواحهم ، ويثوبون إليه ويطمئنون له ، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار ، ولم يعرف التاريخ كله حادثا جماعيًّا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم وبهذا البذل السخى ، ولا يجدون فى أنفسهم شيئا فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف .

وهم يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدؤون بالناس قبلهم فى حال احتياجهم إلى ذلك ، ومن سلم من الشح فقد أفلح وأنجح ، فهذا الشح شح النفس هو المعوق عن كل خير ؛ لأن الخير بذل فى صورة من الصور ؛ بذل فى المال ، وبذل فى العاطفة ، وبذل فى الجهد ، وبذل فى الحياة عند الاقتضاء ، وما يمكن أن يصنع الخير شحيح .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ كل وضع ينتهى إلى أن يكون دولة بين الأغنياء وحدهم هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية .

٢ ـ صدق المسلم فى أن يكون صورة من الحق تدب على الأرض .

٣ ـ شح النفس معوق عن كل خير .

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا
وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا
غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ
أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى
مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ
جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾
كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗا ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾
٥٤٧

معانى الكلمات :

غلا : حقدا وبغضا وغشا .

محصنة : محاطة بالأسوار والخنادق .

وراء جدر : وراء الحيطان .

بأسهم بينهم : قتالهم فيما بينهم .

تحسبهم : تظنهم .

شتى : متفرقة .

وبال أمرهم : سوء عاقبة أمرهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على أهم ملامح التابعين وأخص خصائص الأمة .

٢ ـ أن نعلم قوة العلاقة بين المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب .

٣ ـ أن نعلم طبيعة المنافقين .

المحتوى التربوى :

تجىء الصورة الثالثة وهى تبرز أهم ملامح التابعين كما تبرز أخص خصائص الأمة المسلمة على الإطلاق فى جميع الأوطان والأزمان ، هؤلاء الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها فى طلب المغفرة،لا لذاتها ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان، وفى طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق ممن يربطهم رباط الإيمان مع الشعور برأفة الله ورحمته ، ودعائه بهذه الرحمة ، وتلك الرأفة .

يقول صاحب الظلال : « وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة فى هذا الوجود ، تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التى تربط أول هذه الأمة بآخرها ، وآخرها بأولها فى تضامن وتكافل وتواد وتعاطف ، وشعور بوشيجة القربى العميقة

التى تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب ، وتنفرد وحدها فى القلوب ، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة ، فيذكر المؤمن بعد القرون المتطاولة ، كما يذكر أخاه الحى ، أو أشد فى إعزاز وكرامة وحب ، ويحسب السلف حساب الخلف ، ويمضى الخلف على آثار السلف ؛ صفا واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان ، تحت راية الله تغذ السير صعداً إلى الأفق الكريم متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم » .

ويرسم السياق صورة المنافقين ، فيحكى ما قاله المنافقون ليهود بنى النضير ثم لم يفوا به ، وخذلوهم فيه حتى أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، وأول لفتة فى الآيات هى تقرير القرابة بين المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب ، فأهل الكتاب هؤلاء كفروا ، والمنافقون إخوانهم ولو أنهم يلبسون رداء الإسلام ، ثم هذا التوكيد الشديد فى وعد المنافقين لإخوانهم ، والله الخبير بحقيقتهم يقرر غير ما يقررون ، ويؤكد غير ما يؤكدون ، فهم كاذبون فيما وعدوهم به ؛ إما لأنهم قالوا لهم قولا ومن نيتهم ألا يفوا لهم به ؛ وإما لأنهم لا يقع منهم الذى قالوه ، وكان ما شهد به الله ، وكذب ما أعلنوه لإخوانهم وقرروه ، وعلى فرض أنهم فعلوا ما وعدوا ونصر المنافقون اليهود ولا ينصرون بعد ذلك ، أو اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين .

ثم يقرر السياق حقيقة قائمة فى نفوس المنافقين وإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ، فهم يرهبون المؤمنين أشد مما يرهبون الله ، ولو خافوا الله ما خافوا أحداً من عباده ، فإنما هو خوف واحد ورهبة واحدة ، ولا يجتمع فى قلب خوف من الله وخوف من شىء سواء ، فالعزة لله جميعا وكل قوى الكون خاضعة لأمره ، فمم يخاف إذن ذلك الذى يخاف الله ؟ ولكن الذين لا يفقهون هذه الحقيقة يخافون عباد الله أشد مما يخافون الله .

وهكذا يكشف عن حقيقة القوم الواقعة ، ويقرر فى الوقت ذاته تلك الحقيقة المجردة ، ويمضى يقرر حالة قائمة فى نفوس المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب ، تنشأ عن حقيقتهم السابقة ، ورهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله ، وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز فى « تشخيص » حالة المنافقين وأهل الكتاب حيثما التقى المؤمنون بهم فى أى زمان وفى أى مكان ، وتبقى الملامح النفسية الأخرى ؛ فعداوتهم بينهم شديدة ، وتراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين ، وهم مختلفون غاية الاختلاف .

يقول صاحب الظلال : « والمظاهر قد تخدع فنرى تضامن الذين كفروا من أهل الكتاب فيما بينهم ، ونرى عصبيتهم بعضهم لبعض ، كما نرى تجمع المنافقين أحيانا فى معسكر واحد ، ولكن الخبر الصادق من السماء يأتينا بأنهم ليسوا كذلك فى حقيقتهم ؛ إنما هو مظهر خارجى خادع ،

وبين الحين والحين يتكشف هذا الستار الخادع .. عن نزاع فى داخل المعسكر الواحد ، قائم على اختلاف المصالح وتفرق الأهواء ، وتصادم الاتجاهات ... وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا مظهر التماسك بين أهل الباطل يتفسخ وينهار ، وينكشف عن الخلاف الحاد والشقاق والكيد والدس فى القلوب الشتيتة المتفرقة ...

والقرآن يقر هذه الحقيقة فى قلوب المؤمنين ؛ ليهون فيها من شأن أعدائهم ، ويرفع منها هيبة هؤلاء الأعداء ورهبتهم ، فهو إيحاء قائم على حقيقة ، وتعبئة روحية ترتكن إلى حق ثابت، ومتى أخذ المسلمون قرآنهم مأخذ الجد هان عليهم أمر عدوهم وعدو الله ، وتجمعت قلوبهم فى الصف الواحد ، فلم تقف لهم قوة فى الحياة ، والمؤمنون بالله ينبغى لهم أن يدركوا حقيقة حالهم وحال أعدائهم ، فهذا نصف المعركة » .

ولم يكن حادث بنى النضير هو الأول من نوعه ، فقد سبقه حادث بنى قينقاع وقد كتب عليهم الجلاء قبلهم ووقعة بنى قينقاع كانت بعد غزوة بدر وقبل غزوة أحد ، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ، فلما انتصر المسلمون على المشركين فى بدر كره اليهود ذلك ، وحقدوا على المسلمين أن ينالوا هذا الانتصار العظيم ، وخافوا أن يؤثر هذا على موقفهم فى المدينة فيضعف من مركزهم بقدر ما يقوى من مركز المسلمين .

وبلغ رسول الله ﷺ ما يتهامسون به وما يفكرون به من الشر ، فذكرهم العهد وحذرهم مغبة هذا الاتجاه ، فردوا رداً غليظاً مغيظا فيه تهديد ، قالوا : يا محمد ، إنك لترى أنا قومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس ، ثم أخذوا يتحرشون بالمسلمين ، حتى وقع الشر بينهم وبين المسلمين .

وحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، ورضى الرسول ﷺ فى النهاية أن يجلوا عن المدينة ، وأن يأخذوا معهم أموالهم ومتاعهم إلا السلاح ورحلوا إلى الشام ، ويضرب للمنافقين الذين أغروا إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب بالمقاومة ، فانتهوا بهم إلى تلك النهاية البائسة ، يضرب لهم مثلا بحال دائمة ، حال الشيطان مع الإنسان الذى يستجيب لإغرائه فينتهى وإياه إلى شر مصير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ سمة نفوس الصالحين التوجه إلى ربها لطلب المغفرة لها ولسلفها الذين سبقوا بالإيمان .

٢ ـ خلق الوعد آية النفاق وعلامته البارزة .

٣ ـ الجبن والخوف صفة من صفات اليهود اللازمة لهم ولا تنفك عنهم .

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾
سورة الممتحنة
٥٤٨

معانى الكلمات :

نسوا الله : لم يراعوا أوامره ونواهيه .

فأنساهم أنفسهم : فلم يقدموا لها ما ينفعها عنده .

خاشعا : ذليلا خاضعا .

متصدعا : متشققا .

القدوس : البليغ فى النزاهة عن النقائص .

المؤمن : المصدق لرسله بالمعجزات .

المتكبر : البليغ الكبرياء والعظمة .

البارئ : المبدع المخترع .

الأهداف الإجرائية السلوكية :

١ ـ أن نستشعر مراقبة الله ـ تعالى ـ والنظر يوميا فيما قدم الإنسان للآخرة وما أخر .

٢ ـ أن نعلم عدم التساوى بين أهل النار وأهل الجنة .

٣ ـ أن نعلم أن المنهج الكامل فى التفكير، والشعور،والسلوك قائم على أساس وحدانية الإله .

المحتوى التربوى :

صورة الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بنى الإنسان تتفقان مع طبيعته ومهمته ، فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان ، وحاله هو هذا الحال ؛ فإنه إذا غرّ إنسانا ووعده على اتباعه وكفره بالله ، والنصرة عند الحاجة إليه ، فلما كفر بالله واتبعه وأطاعه ، قال مخافة أن يشركه فى عذابه مسلما له وخاذلا ؛ إنى برىء منك فلا أعينك فى نصرتك ، إنى أخاف الله ، فلم ينفعه التبرؤ ، كما لم ينفع الأول وعده بالإعانة ، فكانت عاقبتهما الكفر ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها وذلك جزاء كل ظالم .

ثم يتجه الخطاب إلى المؤمنين ، يهتف بهم باسم الإيمان ، ويناديهم بالصفة التى تربطهم بصاحب الخطاب ، وتيسر عليهم الاستجابة لتوجيهه وتكليفه ، يتجه إليهم ليدعوهم إلى التقوى

والنظر فيما أعدوه للآخرة ، واليقظة الدائمة والحذر من نسيان الله كالذين نسوه من قبل ، ممن رأوا مصير فريق منهم ، وممن كتب عليهم أنهم من أصحاب النار ، والتقوى حالة فى القلب يشير إليها اللفظ بظلاله ، ولكن العبارة لا تبلغ تصوير حقيقتها ، حالة تجعل القلب يقظا حساسا شاعراً بالله فى كل حالة ، خائفا متحرجا مستحييًا أن يطلع عليه الله فى حالة يكرهها ، وعين الله على كل قلب فى كل لحظة ، فمتى يأمن ألا يراه ؟ !

ولتنظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، ومجرد خطور يوم الحساب على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته ، ويمد ببصره فى سطوره كلها يتأملها ، وينظر رصيد حسابه بمفرداته وتفصيلاته ؛ لينظر ماذا قدم لغده فى هذه الصفحة ، وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إلى مواضع ضعف ومواضع نقص ومواضع تقصير ، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد ، فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلا ، ونصيبه من البر ضئيلا ؟ إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبداً ، ولا يكف عن النظر والتقليب ، ولا تنتهى الآية التى تثير كل هذه المشاعر حتى تلح على القلوب المؤدية بمزيد من اليقظة ، ومزيد من التقوى ، والله عليم بكل الأعمال والأحوال .

ويأتى التحذير من نسيانهم ذكر الله ، فينسيهم الله العمل الصالح الذى ينفع فى المعاد ، والذى ينسى الله يهيم فى هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أفق أعلى ، وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن السائمة التى ترعى ، وفى هذا نسيان لإنسانيته ، وهذه الحقيقة تضاف إليها أو تنشأ عنها حقيقة أخرى ، وهى نسيان هذا المخلوق لنفسه فلا يدخر لها زادًا للحياة الطويلة الباقية ، ولا ينظر فيما قدم لها فى الغداة من رصيد ، وهؤلاء هم المنحرفون الخارجون .

وفى الآية التالية يقرر أن هؤلاء هم أصحاب النار ، ويشير للمؤمنين ليسلكوا طريقا غير طريقهم وهم أصحاب الجنة ، وطريق أصحاب الجنة غير طريق أصحاب النار لا يستويان طبيعة وحالا ، ولا طريقا ولا سلوكا ، ولا وجهة ولا مصيرًا ، فهما على مفرق طريقين لا يلتقيان أبداً فى طريق ، ولا يلتقيان أبداً فى سمة ، ولا يلتقيان أبدا فى خطة ، ولا يلتقيان أبداً فى سياسة ، ولا يلتقيان أبداً فى صف واحد فى دنيا ولا آخرة ، ويثبت مصير أصحاب الجنة ، ويدع مصير أصحاب النار مسكوتا عنه معروفا ، وكأنه ضائع لا يعنى به التعبير .

ويعرض أثر القرآن فى الصخر الجامد لو تنزل عليه ، فإذا كان الجبل فى غلظته وقساوته ، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه ، لخشع وتصدع من خوف الله ـ عز وجل ـ فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ وكذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ، وهى خليقة بأن توقظ القلوب للتأمل والتفكير .

وتجىء التسبيحة المديدة بأسماء الله الحسنى ،و كأنها هى أثر من آثار القرآن فى كيان الوجود كله، ينطلق بها لسانه وتتجاوب بها أرجاؤه، وهذه الأسماء واضحة الآثار فى صميم هذا الوجود،

وفى حركته وظواهره ، فهو إذ يسبح بها يشهد كذلك بآثارها ، ولكل اسم من هذه الأسماء الحسنى أثر فى هذا الكون ملحوظ ، وأثر فى حياة البشر ملموس ، فهى توحى إلى القلب بفاعلية هذه الأسماء والصفات ، فاعلية ذات أثر وعلاقة بالناس والأحياء ، وليست هى صفات سلبية أو منعزلة عن كيان هذا الوجود ، وأحواله ، وظواهره المصاحبة لوجوده .

وتتقرر فى الضمير وحدانية الاعتقاد ، ووحدانية العبادة ، ووحدانية الاتجاه ، ووحدانية الفاعلية من مبدأ الخلق إلى منتهاه ، ويقوم على هذه الوحدانية منهج كامل فى التفكير والشعور والسلوك ، وارتباطات الناس بالكون وسائر الأحياء ، وارتباطات الناس بعضهم ببعض على أساس وحدانية الإله ، ويستقر فى الضمير الشعور بعلم الله للظاهر والمستور ، ومن ثم تستيقظ مراقبة هذا الضمير لله فى السر والعلانية ، ويعمل الإنسان كل ما يعمل بشعور المراقب من الله المراقب لله ، الذى لا يعيش وحده ولو كان فى خلوة أو مناجاة ، ويكيف سلوكه بهذا الشعور الذى لا يغفل بعده قلب ولا ينام .

ويستقر فى الضمير شعور الطمأنينة لرحمة الله والاسترواح،ويتعادل الخوف والرجاء،والفزع والطمأنينة ، ويستقر فى الضمير ألا ملك إلا الله الذى لا إله إلا هو ، وإذا توحدت الملكية لم يبق للمملوكين إلا سيد واحد يتجهون إليه ، ولا يخدمون غيره ، ويأتى اسم القدوس يشع القداسة المطلقة ، والطهارة المطلقة ، ويلقى فى ضمير المؤمن هذا الإشعاع الطهور ، فينظف قلبه هو ويطهره ؛ ليصبح صالحا لتلقى فيوض الملك القدوس ، ويأتى اسم السلام فيشيع السلام والأمن والطمأنينة فى جنبات الوجود ، وفى قلب المؤمن تجاه ربه ، فهو آمن فى جواره ، سالم فى كنفه ، ويؤوب القلب من هذا الاسم بالسلام والراحة والاطمئنان ، والله وحده واهب الأمن وواهب الإيمان ، ولفظ هذا الاسم يشعر القلب بقيمة الإيمان .

وتجىء صفات تتعلق بذات الله فاعلة فى الكون والناس توحى بالسلطان والرقابة ، فهو الشاهد على خلقه بأعمالهم ، وصفات العزيز الجبار المتكبر صفات توحى أيضا بالغلبة والقهر والجبروت والاستعلاء ، وليس غيره بإله فهو الإله الواحد الذى إذا أراد شيئا قال له : كن فيكون على الصفة التى يريد ، والصورة التى يختار ، فهو الخالق البارئ المصور ، وهو بلا حاجة إلى استحسان من الخلق ، ولا توقف على استحسانهم فله الأسماء الحسنى وتنتهى السورة بمشهد التسبيح لله يشيع فى جنبات الوجود ، وينبعث من كل موجود فهو العزيز ذو الحكمة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ مهما يكن المسلم أسلف من خير وبذل ومن جهد ، فعليه أن يتيقظ إلى أن فيه مواضع ضعف ، ومواضع نقص ، ومواضع تقصير .

٢ ـ للقرآن ثقل وسلطان وخليق بالقلوب أن تتيقظ للتأمل والتفكير فيه .

٣ ـ الأسماء الحسنى ترشد العقول إلى قدرة الله البالغة وتقرر فى الضمير وحدانية الاعتقاد ، ووحدانية العبادة ، ووحدانية الاتجاه ، ووحدانية الفاعلية من مبدأ الخلق إلى منتهاه .